صنعاء.. صباح الثورة

صنعاء تفتح أبوابها السبعة وأشعة الحرية تشرق من فوق جبل نقم

■ «.. حيى على خير العمل» .. انتهى المؤذن من أذان صلاة الفجر في الجامع الكبير وهذا النداء بكل عظمة وحكمة يستنهض الهمم ويدل على المستقبل.. في هذا اليوم كان شغف الشعب يتزايد لتلبية نداء الوطن الذي رفضه الطاغية وحال دون إرادته في الافق القريب يرسم شعاع الشمس من على جوانب الجبل الاسود «نقم»، أبواب صنعاء السبعة تستعد لإلقاء تحية الثورة على العابرين بعد أن كانت تغلق في الساعة التاسعة من كل مساء مظلم ورتيب.

ولأن الطريق إلى قصر السلاح والنقط والكدم يمر عبر باب اليمن أكبر أبواب صنعاء كان هناك من ينتظر على أحر من جمر الشوق للعبور باليمن إلى القرن العشرين بعد أن كانت عقارب الزمن قد توقفت هنا إلى أجل غير معلوم بأمر الإمام الذي بموته تداعي خوف الخائفين من جبروته وسرت في النفوس حالة من الانفراج وروح الاقدام».

إعداد / علي الشرجي

كانت الاحداث في صنعاء وعموم اليمن تبشر بميلاد يمن جديد، وكان العرش الملكي للإمام يترنح كثمل فقد وعيه منذ «استقبلت العاصمة جثمان الامام بهلم».

وذلك في الـ١٩ من سبتمبر ١٩٦٢م بعد الصلاة عليه في مطار تعز القديم .. وفي صنعاء صلاة أخرى.

أما البدر الذي أذاع نبأ وفاة والده لم ينس إعلان نبأ اعتباره إماماً جديداً، لكن رياح التغيير تعجزه عن ضبط زمام الوضع، فأعلنت حالة الطوارئ واستشرت حالة الخوف بين رجال الأسرة الحاكمة وفي بلاط القصر الملكي.

وفي هذه المرة أطلق تنظيم الضباط الاحرار وفي المقدمة قادة المدارس العسكرية سبباً جديداً للانقضاض على النظام الامامي .. وأعدوا العدة للثورة.

وكانت ساعة التحرك بعد أن يقدم النقيب العسكري على إطلاق النار على الإمام البدر اثناء مغادرته قاعة الاجتماع عائداً إلى الجناح الآخر من القصر غير أن العملية تعثرت بسبب ضغطه الزناد قبل أن يتأكد من رفع ساقطة الامان وربما أن أحداً غير بندقيته المجهزة وفي لحظة وقع في الحجز وعاد الامام البدر إلى مخدعه في القصر وأنى له أن ينام بعدوها قرير العين حيث تحولت الكلية الحربيه «مقر القيادة الثورية» خلية نخل تدارمنها عمليات الثورة التي تصدر قيادتها منذ اللحظات الأولى كل من المقدم جزيلان والنقيب عبداللطيف ضيف الله والملازم علي عبدالمغني والملازم ناجي الأشول حسب رواية الاستاذ سعيد الجناحي الذي اجاد التعبير في وصف صباح الثورة بقوله: «كان الفجر قد أطل على الدنيا يوقظ النائمين ولم يكن سوى سكان العاصمة صنعاء» وضواحيها لم يدركوا النوم، لقد ظلوا يقظين يسهدهم سماع أصداء معركة بين جموع لم تعد تدرك معنى للموت في سبيل وطن حر ديمقراطي وشعب سعيد، جموع تشيئت بالبقاء كي تواصل فرض حياة القهر والظلم والاستغلال للملايين البشر.

لقد كانت قلوب الثوار ترجف نبضاً لولا هدير المعركة إذ لايستمع الانسان إلا إلى صوت نبضات القلوب، لأن الخائفين لاوجود لهم في تلك الساعات العصيبة، إنهم يرتعدون خوفاً في منازلهم، أما الذين تركوا منازلهم وودعوا أسرهم .. أمهاتهم .. وزوجاتهم .. وأطفالهم، بنظرات أخيرة، فقد كانوا يدركون أن رؤيتهم التوديعية تلك ربما تكون الأخيرة، وربما ستعود، ولكن بعد أيام ..

كان وداع القلوب المؤمنة بحق شعبها في الانعتاق .. والحرية.. وبحق وطنها في الخروج في عهد الماسي والتخلف .. إلى رحاب عهد حددته نضالات آلاف الوطنيين.

كانت القلوب إذ توجف قلقاً على مصير ذلك العمل العظيم الذي يصنع في تلك اللحظات من عرق تذرفه مسامات أجسام الثوار رغم برودة الطقس.

كان ذلك الحدث يصنع بدماء تغلي في القلوب نبضاً وتسيل على تربة الوطن فداء..

كانت القلوب واجفة قلقاً، لذلك لابد من الاستمرار، فإما حياة كريمة وإما ممات شريف.

قصور تقاوم: ودبابات تداهم

قصر البشائر «مقر الإمام البدر»، كان الهدف الأول لحظة الانقضاض على النظام الامامي أمام هذا القصر الواقع بين منازل المواطنين والشوارع الضيقة المؤدية إليه، حيث التحصنات والأسلحة الحديثة التي تمتلكها حراسة البدر، ورغم حالة الطوارئ الشاملة تحت استتباب الوضع الامامي الجديد بدأت لأول مرة في تاريخ القوات المسلحة اليمنية استخدام الذخيرة الحية من مدافع الدبابات منتصف ليل السادس والعشرين من سبتمبر بقيادة ضباط يحملون روحاً فدائية تولى قيادتها الملازمون: عبدالله صبرة، محمد الشراعي، عبدالله محسن المؤيد، يحيى جحاف، أحمد مطر زيد، عبده قائد، وتولى الملازم أحمد الرحومي قيادة السيارات المدرعة لحماية تحركات الدبابات المقتحمة لدار البشائر الذي دوت حوله رعود قصف الدبابات المنتشره حوله حتى نفاد الذخيرة لكن الوضع ليس على مايرام، دبابة الشراعي تعطلت وأسعاقت تقدم البقية كما انكسرت يد الملازم خيران من أول طلقة مدفع، وفي المقابل نجح أبطال الثورة في السيطرة على الإذاعة ثاني أهم موقع بعد دار البشائر.

أثر انسحاب عساكر مفرزة الحرس وتجاوبهم مع نداء الثورة وخذلانهم لقائد حامية الاذاعة، الذي أصابت بندقيته الملازم علي أبو لحوم وهو في طريقه نحو أستوديو الإذاعة.

كان موقف الثوار يزداد سوءاً في قصر البشائر نفاد الذخيرة وتعطل دبابة وارتطام أخرى في سور، ومقاومة مستمرة حتى الصباح «من بيوت الأسر الملكية التي بدأت بإطلاق النار على السيارات أو المدرعات المارة في الشوارع، ثم تصاعدت باستخدام الرشاشات، ولم تكن المقاومة من قبل أفراد الاسرة الملكية بل يقف معهم أفراد حراسهم.. فدار الشكر تحولت إلى موقع خطير إذ كان الامير عبدالله بن الحسن مع سرية حراسه يطلقون الرصاص على المدرعات الدورية والسيارات أو المارة في مهمة، وكذا منزل علي زبارة نائب الإمام، كما حدث للعميد السلال قبل وصوله إلى مقر القيادة، فقد أحرج من كثرة الاتصالات الملحة له بالانتقال إلى الكلية الحربية» وقد حالت دون وصوله كثافة النيران وعاد إلى منزله بعد أن أصيبت سيارته وكاد سائق السيارة أن يصاب.

اجتماع الفجر والإرادة

في الرابعة صباحاً بتوقيت صنعاء غادر العميد عبدالله السلال إلى مقر قيادة الثورة في الكلية الحربية «العرضي» بصحبة الملازمين أحمد الرحومي وصالح الرحبي على متن مدرعة بطلب من السلال الذي تعثر وصوله بسيارته بسبب كثافة النيران، ولما كان موقف الثوار يزداد صعوبة في معركة دار البشائر، جراء المقاومة المستمرة من قبل الإمام البدر ومعه قوات الحراسة، إضافة إلى ذخيرة الثوار، وامتناع مسئولي وحرس قصر السلاح عن فتح مخازن الأسلحة، والذخائر التي تشتد الحاجة اليها، وفي فوج البدر بدأ صف واسع من إفراده يتحركون استجابة لدعم الامام البدر الذي كان يعمل على الاتصال بمؤيديه.

وفور وصول العميد عبدالله السلال إلى مركز القيادة ترأس اجتماعاً ضم أعضاء القيادة وهم: عبدالله جزيلان، عبداللطيف ضيف الله، الملازم علي عبد المغني، الملازم ناجي الاشول، تم خلاله استعراض الوضع بشكل عام .

وبعد تدارس الموقف واتخاذ الاجراءات السريعة أكد الاجتماع على ضرورة إعطاء الأولوية للحصول على الذخائر والسيطرة على قصر السلاح بالوسائل السلمية باعتبار أن الوضع لا يسمح بفتح معركة جديدة.

وتولى العميد السلال الاتصال بالمسؤولين في القصر هاتفيا بأمرهم بفتحه، لكنهم طلبوا أمراً تحريرياً، وكتب الأمر موقعاً عليه باعتباره أمير الحرس، ولما وصلهم الامر المكتوب واصلوا امتناعهم بحجة أنه يجب أن يصدر من الامام نفسه، وهي القاعدة التي أسست منذ أن احتل الأحرار قصر السلاح في اليوم الأول من ثورة عام ١٩٤٨م.

أقوى سلاح وأنبل ضابط

السابعة صباحاً، كان الفجر يطل بأشعته التي تدب مبددة ظلمة الليل في وقت كان هناك من ينسج من أشعتة أحداثا في ثوان يعجز الانسان عن وصفها، عقارب الساعة تمضي إلى الأمام مواكبة بهاء نور الشمس المشرقة.. تسابق نبضات قلوب مضطربة لأناس يمرون بأقسى حالات التوتر، الثواني بالنسبة لهم في عمر الزمن دهور.. حينما كان التوتر على أشده في معسكر المدفعية، باعتباره من أهم المراكز العسكرية التي تملك قدرة عسكرية على إفشال ذلك الحدث الذي يصفه أبطال من الجيش».

وفي قصر البشائر الموقف يزداد صعوبة جراء المقاومة المستمرة من قبل الامام البدر ومعه قوات الحراسة.. فيما يواجه الثوار نفاد الذخيرة، إضافة إلى امتناع المسؤولين وحراس قصر السلاح عن فتح مخازن الاسلحة والذخيرة التي تشتد الحاجة إليها.

كان لا بد من حسم الموقف في قيادة المدفعية أولاً فدفعت القيادة بالملازم علي عبدالمغني لتنفيذ المهمة والذي وصل بالفعل على دبابة يقودها الملازم أحمد زيد مطهر لمحاورة أفراد المدفعية كونه عمل في السلاح نفسه مع الاستعداد لضرب مقر القيادة إذا فشل الحوار.

وبعد أن تم السيطرة على المدفعية – السلاح القوي – تحركت أطقم المدافع بقيادة الملازم محمد مطهر نحو قصر البشائر، وقصر الشكر في وقت كانت فيه ذخائر الدبابات المهاجمة لقصر البشائر قد نفدت.

كانت مقاومة البدر معتمدة على أسلحة متنوعة وذخائر مكدسة في مستودعات القصر، وكان يدرك أن ذخائر الدبابات محدودة، لقد كانت تلك المعلومات كافية لدعم معنويات البدر وأنصاره الذين قاتلوا بشراسة على أمل أن تنفد ذخيرة الدبابات وتتحول إلى كتل من حديد فاقدة أي تأثير، لكن انضمام المدفعية إلى صف الثورة هدّ لكل محاولة للمقاومة، حين وجهت المدافع إلى قصر البشائر ودار الشكر تصليهما بوابل من القذائف افقدت البدر وانصاره القدرة على الاستمرار في المقاومة.

وذلك رغم إعلان أن الثوار قد أكملوا قبضتهم على الوضع، وأن قصر البشائر هد على رؤوس المقاومين، وأن البدر تحت الانقاض، ووجهت نداء إلى المواطنين بإلقاء القبض على كل عنصر من عناصر بيت حميد الدين الذين يحدونهم في حالة هرب إلا أن المعركة لم تنته بعد.

قصر السلاح والكدم

حتى الساعة السابعة صباحاً لم يتمكن الثوار من الحصول على ذخائر قصر السلاح الذي يعتبر قاعدة إدارية يحتوي على مستودعات واسعة للاسلحة والذخائر والحبوب والنفط ومشتقاته.

كما يوجد في القصر «الغرم» العام، أو المخبز العام للكدم، وكانت الحراسة تتكون من مفرزتين من الجيش النظامي والجيش الشعبي المكون من القبائل يختارهم الإمام ممن يثق فيهم إضافة إلى سرية مدفعية وفصيلة رشاش، وسرية من الحرم الملكي تشرف على السجن والمكاتب الإدارية .

وكان تنظيم الضباط الأحرار قد كسب عدداً من الضباط منهم ملازم صالح الرحبي الذي تولى إنشاء خليتين بقيادة كل من الملازم مراد زامل قائد المفرزة النظامية يساعده الملازم أول صالح العروسي وقائد سرية الحرس الملكي.

وكانت خطة السيطرة على قصر السلاح قد وضعت على أن تتم السيطرة على القصر من الداخل بأن يتولى اعضاء التنظيم فتح باب القصر لدخول الدبابات والسيطرة على الموقف من الداخل وتحييد من يعارض الثورة والأهم هو السيطرة على مخازن الاسلحة والذخائر، أوكلت القيادة للنقيب أحمد صالح فتح باب اليمن عندما يسمع قدوم دبابتين بقيادة حسين شرف الكبسي وعلي محمد الشامي، وقد تم ذلك للدبابة الأولى ولما تأخر وصول الثانية أغلق الباب وحين وصلت الثانية بقيادة الملازم الشامي اقتحم الباب مما سبب ضوضاء أيقظت أفراد المفرزة الذين استغربوا وجود الدبابات وما يحدث وكان الصمت جوابا.

وكان الاسلوب الذي اتبعه الثوار في إقناع الآخرين بحكم معرفتهم الدقيقة بتفاصيل مايدور الاثر الكبير في فتح الابواب خاصة إصرار الملازم العروس على الحصول على أمر تحريري من عبدالله السلال قائد الحرس الملكي والذي سائر ميول أفراد حراسة القصر أكثر إخبارهم أن المعركة تدور بين البدر والحسن.

وقد تم إطلاق سراح المعتقلين في سجن قصر السلاح صباح يوم الثورة بالتزامن مع إخراج الذخائر والذي تولاها الكاتب محمد المترب وعبدالرحمن عقبة لمعرفتهما بالمخازن وتحميلها على سيارة يسوقها عبدالله ناجي دارس.

قصر الوصول جمهوري

– ويصل بنا انتصار آخر، فقد تمكن الملازم علي الحيمي الذي تحرك بدبابته صوب قصر الوصول مع رفيقيه الملازمين علي الحجري وعبد الرحمن السوسوة وجنديين من مدرسة الاشارة ورغم تعرض الملازم الحيمي لطلقات من منازل أنصار الإمام إلا أنه واصل التقدم عبر طرق ضيقة وداهم القصر، وحسم الموقف مع مجموعة أفراد الحراسة، أما السرية الشعبية وهم من قبائل الاهنوم فقد رفضوا التسليم مما دفع إلى التعامل معهم بعنف وتم القاء القبض على المتمردين وتمت السيطرة على القصر، والتقى الملازم الحيمي مع اعضاء الوفود الساكنة في قصر الوصول «الجمهوري حاليا» الذين وصلوا لتهنئة الإمام البدر ولكن هاهو الملازم الحيمي يبغلهم تحية قيادة الثورة، ويشرح لهم الدوافع التي أدت إلى قيام ثورة ٢٦ سبتمبر.

فرار البدر.. وبشائر النصر

ومع تتابع انتصارات الثوار، ومع صباح يوم الخميس ٢٦ سبتمبر وهنت مقاومة حراس البدر ومن معه في القصر .. بعد أن استمر القتال الشرس ساعات دون توقف لقد ضعفت المقاومة تدريجياً وبدأ البعض يترك مواقعه، وتمكن البدر من التسلل مستعينا بمن بقي معه من أقربائه، خرجوا بملابس غير الملابس التي اعتادوا لبسها، وفر إلى منزل الشيخ عاطف المصلي وأصحابه الذي قبل إجارة البدر واستطاع تهريبه إلى عمران.

وفي الساعة التاسعة من صباح الخمس ٢٦ سبتمبر تم إيصال أميري الجيش إلى مقر قيادة الثورة في العرضي واللذين فرا في الساعة السابعة صباحاً نحو جبل نقم وتمت ملاحقتهما من قبل مجموعة من ضباط الصف التابعين للمدفعية بقيادة الملازم حسن البهلولي حيث تم تطويقهما والقاء القبض عليهما فوراً.

وفي الساعة الحادية عشرة والنصف قبل ظهر الخميس ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م أكمل الثوار اجتثاث المقاومة في قصر البشائر وانتهت آخر جيوب المقاومة وتمت سيطرة الثوار على القصر تماماً وقتها كانت الجماهير في صنعاء قد هرعت إلى الشوارع وأحاطت بقصر البشائر ترقب لحظات نهاية النظام الإمامي الممثل بالبدر آخر أمام في اليمن إنها لحظات النهاية إلى الابد.

الثورة... إيثار لا استئثار

– وبعد ظهر يوم الثورة الخميس وصل العميد حمود الجائفي إلى صنعاء قادماً من الحديدة فتوجه على الفور إلى مقر القيادة في العرضي، وحتى تلك الساعة كانت البيانات التي تصدر وتذاع تحمل اسم «القيادة العليا للجيش» ولم يكن مجلس قيادة الثورة قد شكل.

لقد كان الجميع في حالة من الانشغال الكامل بنجاح الثورة، وكان الضباط الاحرار قد رشحوا أربعة من أعضائهم لعضوية مجلس قيادة الثورة في حالة انتصارها وهم: نقيب عبد اللطيف ضيف الله، ملازم علي عبد المغني، ملازم أحمد الرحومي، ملازم صالح الاشول.

على أن يضاف إليهم ثلاثة من كبار الضباط يكن لهم الضباط الاحرار كل تقدير واتفقوا على أن يتولى حمود الجائفي رئاسة مجلس القيادة وفي حالة عدم موافقته يتولى العميد عبدالله السلال أما الشخص الثالث من كبار الضباط كان المقدم جزيلان الذي عمل رئيساً لغرفة عمليات معارك الثورة منذ لحظة بدايتها».

الجدير بالذكر أن «الضباط الاحرار» لم يكتب قائمة أسماء مجلس قيادة الثورة خوفاً من فشلها، ولكي لايتعرض أولئك القادة إلى الإعدام الذي سيكون مصيرهم الحتمي في حالة كشفهم.

وتجتمع الروايات والكتابات الموثقة لتلك اللحظة المهيبة أن الجائفي رفض رفضاً قاطعاً تولي قيادة الثورة مباركاً لزميله السلال الذي بدوره أصر على أن يتولى الأول القيادة وأمام إصرار السلال هدد الجائفي بقتل نفسه وبذلك قبل السلال تحمل مسئولية قيادة الثورة .. وبعد التشاور أتفق على أعضاء مجلس قيادة الثورة خلال ليلة الجمعه وفي صباحها أعلن المجلس عن التالية أسماؤهم : العميد حمود الجائفي، الملازم عبدالله جزيلان، النقيب عبداللطيف ضيف الله، النقيب محمد قائد سيف، الملازم علي عبد المغني، الملازم محمد مفرح، الملازم صالح الرحبي.

ودقت ساعة العمل

هنا صنعاء، إذاعة الجمهورية العربية اليمنية.. إذاعة الثوار .. إذاعة الاحرار.. ويصدح نشيد «دقت ساعة العمل الثوري» منذ الساعة السابعة إلاّ دقائق من صباح الخميس الـ٢٦ من سبتمبر ١٩٦٢م. يعانق مسامع المنتظرين بجانب أجهزة الراديو، ذلك الصوت الآتي عبر الأثير من صنعاء: «لقد تداعى النظام الملكي الإمامي وانتهى إلى الأبد وتحركت جموع الثوار في كل من تعز والحديدة وإب وحجة وبقية المدن.

● المرجع

الحركة الوطنية من الثورة إلى الوحدة للمؤلف سعيد الجناحي